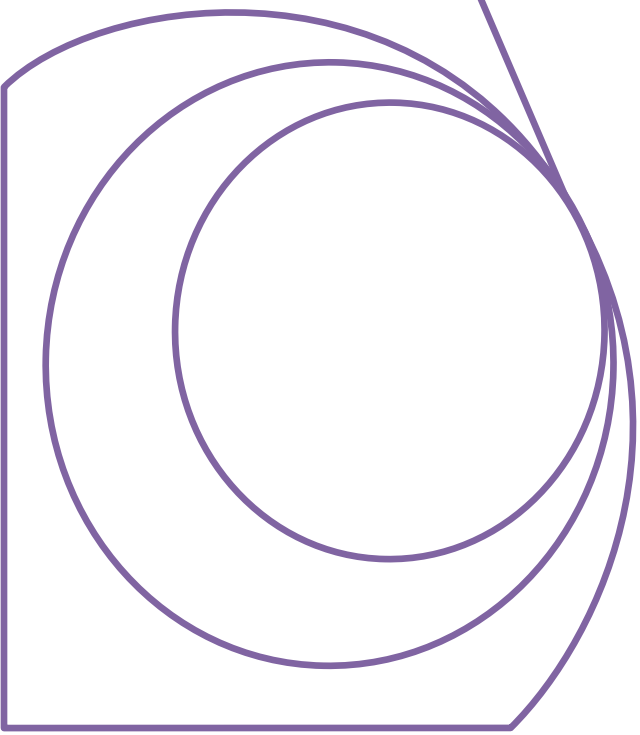

التعليم عن بعد

محتوى

تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر

لـ د. محمد احمد جودة

عمل : IbtiHAlinO

للحصول على الملزمة من الإنترنت : ibtihalino.blogspot.com

أهداف المقرر و محتواه :

• يهدف المقرر إلى التعريف بأهمية منطقة الخليج العربي كطريق مائي بين الشرق و الغرب إضافة إلى الموقع الاستراتيجي بالغ الأهمية في منطقة الشرق الأوسط و دور كل هذه المقومات في جذب التنافس الاستعماري لمنطقة الخليج العربي.
• ثم نبرز من جهة أخرى دور القوى المحلية مثل أل سعود و القواسم وغيرهم في مواجهة القوى الاستعمارية.
• إعطاء فكرة معبرة عن شخصية دول الخليج و إماراته و مشيخاته أمثال المملكة العربية السعودية و الكويت و البحرين و قطر و الإمارات و سلطنة عمان.

ثم نستعرض الحياة الاقتصادية منذ عصر استخراج اللؤلؤ ثم عصر اكتشاف البترول و أثره على الحياة الاقتصادية و الاجتماعية.
و نستعرض بعد ذلك بعض المشكلات التي تعرضت لها منطقة الخليج مثل الأطماع العرقية و الادعاءات الإيرانية في بعض مناطق الخليج العربي .
ثم نستعرض بعد ذلك التطور السياسي لمنطقة الخليج و نشأة مجلس التعاون الخليجي و أثره الكبير و الهام على منطقة الخليج من ناحية تأمين المنطقة و دفعها في اتجاه التعاون الاقتصادي في كافة المجالات.

المراجع و المصادر التعليمية

- محمد حسن العيد روس ، تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر ، القاهرة ١٩٩٨ .
- عبد العزيز عوض ، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث ، بيروت ١٩٩١.
- جمال زكريا قاسم ، تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر ، ٢٠٠١
- صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٤م) .
- مصطفى عقيل الخطيب : التنافس الدولي في الخليج العربي ١٦٢٢-١٧٦٣م (بيروت المكتبة المصرية ، ١٩٨١م) .

أهمية منطقة الخليج العربي

تنسب منطقة الخليج العربي إلى الممر المائي الذي تطل عليه دول تلك المنطقة خاصة من جهة الساحل الشرقي له و الحقيقة أن نسب هذا الممر المائي إلى العرب أو تسميته بالخليج العربي لم يكن من قبل العرب أنفسهم و إنما عرفت هذه التسمية منذ أقدم العصور.

فأقدم اسم معروف لهذا الخليج هو اسم " بحر أرض الإله " حتى الألف الثالث قبل الميلاد ثم أصبح اسمه " بحر الشروق الكبير" حتى الألف الثاني قبل الميلاد و سمي " بحر بلاد الكلدان " في الألف الأول قبل الميلاد. ثم أصبح اسمه " بحر الجنوب " خلال النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد.

سماه الآشوريون و البابليون و الأكاديون : " البحر الجنوبي " أو " البحر السفلي" وقد سماه الفرس " بحر فارس " و قيل أن هذه التسمية عرفت في أول الأمر من قبل الملك الفارسي دارا الأول (٥٢١-٤٨٦ ق.م) في كلامه " على البحر الذي يربط بين مصر و فارس .

أما أول من أطلق عليه الخليج العربي هو المؤرخ الروماني بلينيوس في القرن الأول الميلادي ، تلك الفترة التي كانت تلك المنطقة بالكامل بما فيها سواحل هذا الخليج الشرقية و الغربية ، عربية أو فارسية تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية.

ولا شك أن هذه التسمية التي أطلقها الرومان على الخليج في ذلك الوقت إنما ترجع إلى سيطرة العرب على المراكز التجارية و الملاحية على امتداد هذا الممر المائي لفترات كبيرة في التاريخ في ذلك الوقت وما يؤكد ذلك السواحل الشرقية لهذا الخليج و التي تمتد لمسافة حوالي مأتى كيلو متر تشغل معظمها سلسلة من الجبال صعبة المنافذ إلى الداخل مما عزل سكان فارس و السلطة المركزية عن حياة البحر و ممارسة الأنشطة البحرية بشكل كبير ، إضافة إلى ما اشتهر به الفرس منذ أقدم العصور بخوفهم من البحر و قلة أنشطتهم فيه سواء المدنية أو العسكرية.

و بسبب عدم خبرة الفرس بالأنشطة البحرية التي كانت دائما نقطة ضعفهم هي الأسطول الأمر الذي بسببه تلقوا هزائم عديدة في ميدان المعارك البحرية على يد عناصر أو أمم أقل منهم بكثير في القوى ، مثلما حدث أمام بلاد اليونان في العصر الكلاسيكي أثناء ما يعرف بالحروب الميدية .

وقد دفع ذلك الكثير من المؤرخين حتى في الغرب إلى القول بأن الخليج ليس فيه شيء فارسي سوا أسمه فقط و أن اسم الخليج العربي يمثل حقيقة جغرافية ثابتة.

منطقة الخليج العربي :

تشكل منطقة الخليج العربي ، وما فيها من المدن القديمة و الحديثة أهمية كبرى حضاريا و اقتصاديا إلي جانب ما لهذه المنطقة من تأثير قوى علي الأوضاع السياسية و الاقتصادية في العصر الحديث ليس فقط في الشرق الأوسط و إنما في العالم .

فقد كان لهذه المنطقة تواجدها القديم الضارب في أعماق التاريخ و كانت علي مر العصور مصدرا للخيرات التي أغرت بعض القبائل للنزوح إليها و استيطانها ، كما وفدت إليها أسر قدمت من بلاد عربية كثيرة.

وقد سكنت هذه القبائل منطقة الخليج و وجدت في رحابها رخاء العيش و أمن الحياة و امتدت فروعها إلي الوقت الراهن و طوال تاريخها ظلت منارة للعلم و مصدرا للخير و ملاذا لمن جار عليهم الزمن.

وقد كان الخليج كمعبر مائي يشكل دائما فاصلا بين سكان الساحل الشرقي و الأخر الغربي في الثقافة و الدين و حتى في الظروف الطبيعية و الجغرافية ، رغم التشابه في الأنشطة التجارية و التقارب المكاني .

ولم يذكر التاريخ اسم شعب استوطن الخليج العربي و سيطر على موانئه و سواحله و فرض السيادة التامة على مياهه و استفاد منها مثلما فعل العرب ذلك. و كانت الصلات بين الجزيرة العربية و العراق و سواحل الخليج و أيضا السواحل الأفريقية و الصينية تمتد إلى قرون عديدة قبل بدأ التاريخ الميلادي بفضل نشاط العرب في تلك المنطقة و حسن استخدامها كمنطقة وسطى من خلال النشاط التجاري الذي ربط العالم القديم و أيضا الحديث من خلال ذلك المعبر المائي الهام.

و يمتد الخليج العربي على شكل ذراع بحري في اتجاه شمالي غربي إلى جنوبي شرقي ، بين مدينة الفاو على الطرف الجنوبي للعراق و رأس مسندم على مضيق هرمز الذي يتصل بخليج عمان ، فالبحر العربي و تبلغ مساحة الخليج سبعة و تسعين ألف و أربعمائة و خمسين ميلا مربعا و يحتل الخليج العربي موقعا فريدا حيث تشكل سواحله الغربية المنافذ الطبيعية للأقاليم الداخلية ، كما يتصل من الناحية الشمالية بنهري دجلة و الفرات عبر شط العرب و تتركز الأهمية الإستراتيجية للخليج نفسه في كونه جسرا أو معبر بين الغرب و الشرق و طريق مواصلات فريد بين أوروبا و الشرقين الأدنى و الأقصى.

و تتميز السواحل الغربية للخليج العربي بكونها مناطق سهلية باستثناء منطقة قاعدة شبه جزيرة قطر و أقصى جنوب مضيق هرمز و يتكون معظم الشاطئ العربي من شواطئ رملية مع العديد من الجزر الساحلية الصغيرة التي يضم بعضها البحيرات داخلية.

بينما يختلف الساحل الشرقي بتركيبته الجبلية مع وجود كثيف للمنحدرات ؛ وفي حالة وجود الشواطئ فهي ضيقة جدا لا تشكل إلا شقا ساحليا رفيعا في حالة تواجدها و تكبر قليلا لدى مصادفتها مصبات الأنهار الصغيرة على حدود الخليج العربي.

و السهل الساحلي يتوسع شمالا في منطقة بوشهر ضمن إيران ، ليتحد بعد ذلك مع سهول دلتا أنهار دجلة و الفرات الواسعة.

و تعد مياه الخليج العربي غير عميقة نسبيا ، إذ يبلغ أقصى عمق فيها ٣٦٠ قدماً. فمياهه لا يرتفع بها الموج و بالرغم من ارتفاع درجة حرارته و ارتفاع نسبة الرطوبة في مناخه ، فنادراً ما يتعرض لعواصف أو دوامات هوائية ، و لذلك فهو يوفر بيئة بحرية ملائمة للملاحة البحرية . كما أن مياه الخليج العربي ضحلة و نادراً ما تتجاوز عمق ٩٠م ، وقد تصل في مناطق قليلة جدا إلى أعماق تزيد على ١١٠ أمتار و ذلك في مدخله وفي الأماكن المعزولة في الجزء الجنوبي الشرقي.

و توضح خريطة القمر الصناعي الاختلاف بين الساحلين الشرقي و الغربي للخليج العربي من حيث طبيعة التضاريس

و يحوي الخليج العربي على أكثر من ١٣٠ جزيرة أكبرها جزيرة قشم الإيرانية التي يستوطنها عرب إيران ثم جزيرة بوبيان الكويتية و تبلغ مساحتها ٨٦٣ كم٢ ، ثم تأتي بعدها جزيرة البحرين و تبلغ ٦٢٠ كم٢.

الاختلاف الواضح بين تضاريس الساحل الغربي و الشرقي للخليج العربي :

وقد تميز الخليج العربي قبل اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر ، بموقعه الجغرافي المتميز و مركزه التجاري الذي يربط شرق العالم بغربه ، حيث ازدهرت الملاحة العربية بين موانئ الخليج العربي و موانئ المحيط الهندي مستفيدة من الرياح الموسمية الصيفية ، حاملة البضائع الهندية و الصينية وغيرها من سلع جزر الهند الشرقية و جنوب شرق آسيا نحو موانئ الخليج العربي و البحر الأحمر و الساحل الشرقي الأفريقي و مستفيدة من الرياح الموسمية الشتوية ، حاملة البضائع الفارسية و الأفريقية و غيرها نحو الموانئ الهندية.

و كانت البضائع الشرقية المنقولة بالسفن العربية عبر المحيط الهندي و الخليج العربي ترد إلى البصرة ثم تتجه برا قاصدة حلب مارة ببغداد و حمص و حماة حيث تنقلها السفن الايطالية إلى الموانئ الأوروبية . وقد وجدت هذه البضائع وهى في طريقها إلى موانئ البحر المتوسط سوقا رائجة في موانئ الخليج العربي.

و تفوقت التجارة المنقولة عبر الخليج العربي على مثيلتها في البحر الأحمر – ذي الشعاب المرجانية و السواحل المجدبة ، فبلغت ثلاثة أمثالها في معظم الأحيان على الرغم من قصر المسافة بين السويس و الإسكندرية بمقارنتها بين البصرة و حلب و على الرغم من شدة الحرارة خلال فصل الصيف و تعرض القوافل التجارية لغارات القبائل البدوية .

خريطة طبيعية لدول منطقة الخليج :

وقد عرفت الدول الأوروبية الخليج العربي للمرة الأولى من خلال المحاولات التي بذلها البرتغاليون في القرن السادس عشر للتخلص من احتكار العرب في منطقة الخليج العربي و الشرق الأوسط للوساطة في التجارة بين أسيا و أوروبا.

وقد كانت التجارة بين الشرق و الغرب منذ أقدم العصور تسلك طريقين رئيسيين هما : طريق البحر الأحمر و مصر و طريق الخليج العربي و الشام و كلاهما كانا تحت سيطرة العرب. و كانت المشكلات و الخلافات السياسية أحيانا تغلق إحداهما أو كليهما و حين كان الطريقان يغلقان في وقت واحد فان مدد البضائع الشرقية كان ينقطع عن أوروبا إلا بالقدر الذي كان يمكن فيه سلك طريق وعر و غير أمن عبر أسيا الوسطى.

و أهم و أكبر المراكز الأوروبية التي كان لها نصيب كبير من تجارة المشرق هي البندقية و جنوا ، وقد فقدت جنوا مكانتها في عالم التجارة الشرقية نتيجة سقوط القسطنطينية على أيدي الأتراك في ١٤٥٣ م ، ثم بعد فترة و جيزة أدى الخلاف بين المماليك في مصر و بين البندقية إلى فقدان البندقية ما كان قد تبقى لها من مزايا في المنطقة.

و كان واضحا أن اكتشاف طريق جديد غير معهود يصل إلى الهند سيعود بثروة كبيرة على الدول التي ستستطيع الاستفادة منه و كانت البلد الذي كرس نفسه للبحث عن مثل ذلك الطريق هي البرتغال.

ولا شك أن أهمية موقع الخليج العربي بلاضافة إلى ما أكسبه العرب من أهمية بحسن استغلالهم لموقعه طوال قرون عديدة قديما و حديثا ، كان سببا في جذب انتباه القوى الاستعمارية على مدار التاريخ قديما حديثا للاستفادة من هذا الموقع المتميز و السيطرة على هذا المعبر الهام من جهة ، ومن جهة أخرى إنهاء احتكار سيطرة العرب عليه.

و لذلك يتضح أن أهمية تلك المنطقة كانت موجودة بشكل كبير قبل اكتشاف البترول و أن اكتشافه أضفى عليها أهمية كبرى وزاد من اهتمام العالم كله بهذه المنطقة ، التي تضاعف تأثيرها في العالم بأثره بعد ظهور خام البترول و أصبحت تتصدر أولويات الدول الاستعمارية الكبرى.

التنافس الاستعماري في منطقة الخليج

(البرتغال)

تعرضت منطقة الخليج العربي منذ القرن السادس عشر الميلادي إلى غزو استعماري قامت به بعض الدول الأوروبية ، حيث كان العرب ، خاصة في منطقة الخليج ، يتحكمون في طرق التجارة الرئيسية و خاصة التجارة البحرية من الهند إلى أوروبا. وقد قامت كل من البرتغال و أسبانيا بأول المحاولات في ذلك الاتجاه عندما قامت كل منهما ببدايات حركة الاستكشافات الجغرافية طمعا – كما ذكرنا من قبل – في التخلص السيطرة العربية على طرق التجارة البحرية التي كانت خاضعة في ذلك الوقت لحكم المماليك .

والجدير بالذكر أن الفترة الأخيرة من القرون الوسطى قد شهدت تطورا هاما وهو أن جميع مراكز إنتاج التوابل و طرق تجارتها قد وقعت في أيدي المسلمين خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، حيث ارتبطت ارتباطا و ثيقا بمناطق الدول الإسلامية كالأفغانية و المغولية في الهند و الممالك الإسلامية في مالاقا والخليج العربي و دولة المماليك في مصر و الشام و الحجاز و الإمارات الإسلامية في شرق أفريقيا . وعلى ذلك فان أوروبا صارت بكاملها تتطلع لتحقيق وسيلة ما تخرج بها من طوق الهيمنة التجارية الإسلامية و خاصة بعد اكتساح العثمانيين للأناضول و احتلال القسطنطينية عاصمة أوروبا الشرقية عام ١٤٥٣م.

وقد نجحت المحاولات البرتغالية و الاسبانية في السيطرة على منافذ تجارة الشرق في الخليج العربي و البحر الأحمر و التحكم بمضيقي هرمز و باب المندب. وقد كان لتشتت القوى الإسلامية و العربية في الشرق ، إضافة إلى كثرة الصراعات و الحروب التي كانت عاملا مساعدا في تنفيذ خطة البرتغاليين و انتشارهم في المنطقة و بعد نجاح البرتغاليين في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح و وصلهم إلى الهند في مطلع القرن السادس عشر الميلادي ، عملوا على التحكم بالطرق الملاحية عبر المحيط الهندي و الخليج العربي و البحر الأحمر و أصبح الخليج و جنوب الجزيرة العربية مجالين للتنافس الاستعماري.

الاستعمار البرتغالي :

فكانت البرتغال أول الدول الاستعمارية الغازية للمنطقة العربية بصفة عامة و منطقة الخليج بصفة خاصة ، فقد كون البرتغاليين إمبراطورية استعمارية قوية أثناء حركة الكشوف الجغرافية فنشروا تجارة الرقيق و جلبوا العبيد من أفريقيا خاصة غربها و باعوهم في أسواق أوروبا ثم عبروا رأس العواصف المسمى حاليا برأس الرجاء الصالح ١٤٩٢م و وصلوا إلي شرق أفريقيا ثم تابعوا إلي الهند فاحتكروا التجارة و سيطروا على الطرق الملاحية و انشئوا العديد من الشركات التجارية في الشرق ، يضاف إلي ذلك حملات التبشير و التنصير بالقوة التي مارسوها بدافع من الحقد على الإسلام و المسلمين.

وقد بدأ البرتغاليون بمهاجمة ميناء – غوا – على الساحل الهندي و استولوا عليه و بذلك وضعوا لهم أول موطأ قدم في الشرق لأن هذه المدينة الهندية - غوا - كانت أول مستعمرة أوروبية في الشرق كله ، وذلك بعد زوال كل المستعمرات الصليبية من قبل ، كما كانت هذه المدينة أيضا نقطة و ثوب برتغالية إلى الخليج العربي ، و ظلت كذلك حتى بعد أن فازت الهند باستقلالها في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

ثم توالى استيلاء البرتغاليين على العديد من المدن الهامة في المنطقة ، فاستولوا على جزيرة - سقطرى – العربية ذات المركز الاستراتيجى الخطير بالنسبة إلى المحيط الهندي و كذلك منافذ البحر الأحمر و بحر العرب و كان البرتغالي -الفونس ألبوكرك - صاحب هذه الانتصارات.

و اتجه القائد البرتغالي – البوكرك - بعد ذلك نحو الخليج العربي قاصدا الاستيلاء على - رأس الحد – و لكن بسبب مقاومة الشيخ سيف الدين حاكم جزيرة هرمز اضطر البرتغاليين لعقد الصلح الذي بمقتضاه اعترفوا بحكم الشيخ سيف الدين على الجزيرة.

و عند هذه النقطة تتضح سياسة إيران التي كانت دوما ضد العرب و بالتالي وقفت في هذا الصراع إلى جانب البرتغاليين و تحالفت معهم ضد العرب وضد الشيخ سيف الدين و أجبرته على قبول الحماية البرتغالية.

ويشير الاتفاق الذي تم بين القائد البرتغالي – ألبوكرك و الشاه الإيراني - إسماعيل الأول – إلى طبيعة المصالح المشتركة بين إيران و البرتغال حيث جاء في هذا الاتفاق ما يلي :

-أن تقدم البرتغال بعض السفن للشاه لتمكينه من غزو البحرين و القطيف.

-أن تقدم البرتغال مساعدتها للشاه لقمع ثورة مكران في مقابل موافقة الشاه على احتلال البرتغال لميناء جوادر على ساحل بلوشستان.

-أن تتحالف البرتغال و فارس ضد الدولة العثمانية.

-يتنازل الشاه عن هرمز و يعترف بالحماية البرتغالية عليها.

-وعد البرتغاليون الشاه بفتح - جاوه - للتجارة الفارسية ، و رغم ذلك تشير المصادر إلى أن - ألبوكرك - أخبر سفير الشاه في عام ١٥١٥م بأن أي تاجر فارسي يضبط في أي مقاطعة أخرى في الهند باستثناء – جاوه - سيفقد بضائعه و يخضع لغرامات باهظة.

-ويشير هذا الاتفاق ليس فقط لتحالف إيران مع البرتغال ضد العرب و لكن أيضا لأطماع الإيرانيين الاستعمارية في منطقة الخليج العربي.

ثم استولى البرتغاليين بعد ذلك على مدينة صور ثم مسقط رغم المقاومة العنيفة التي وجدها البرتغاليون و التي بسببها دمروا و احرقوا كل ما واجههم في تلك المدن حتى المسجد الكبير في مسقط أحرقوه و أقاموا كنيسة مكانه و هناك الكثير من المصادر التي تتحدث عن الخراب و الدمار الذي أوجده البرتغاليون في تلك المنطقة.

وبعد الإرهاب و الترويع الذي مارسه البرتغاليون أصبحت المدن و الموانئ العربية في الخليج مثل – قلهات ، مسقط ، صحار ، صور ، بمثابة محطات برتغالية لحماية جزيرة هرمز و الدفاع عن تجارتها ، و بقى نظام الحكم المحلى في هرمز تحت الحماية البرتغالي ، و نتج عن ذلك أن الكثير من السكان غادروا هرمز إلى الموانئ الأخرى في الخليج العربي مما أثر على ازدهار هرمز و عمرانها. وقد شعرت هرمز بالضائقة الاقتصادية بسبب تحكم البرتغاليين بالطرق التجارية المؤدية إليها تنفيذا لخطتهم التي استهدفت إغلاق الخليج العربي و عزله عن التجارة الشرقية.

و بسبب احتلال البرتغاليين منطقة الخليج العربي انهار النشاط البحري لعرب الخليج وهو مصدر رزقهم الوحيد أثناء تلك الفترة و كانت القوى الإسلامية إبان تلك الفترة تتمثل في المماليك الذين حاولوا التصدي للخطر البرتغالي لكنهم انهزموا في معركة ديو البحرية عام ١٥٠٩ م و كانت قواهم قد ضعفت و انهارت أمام الدولة الفتية وهي الدولة العثمانية التي كانت مشغولة في صراعها مع الدولة الصفوية من جهة ومع دولة المماليك من جهة أخرى لذلك كانت السيادة العثمانية على منطقة الخليج العربي سيادة اسمية.

ونشير هنا إلى موقف المدن الهندية من هذا التغير الجذري في منطقة الخليج العربي و كسر الاحتكار العربي للتجارة ، فلم تتأثر المدن الهندية كثيرا بهذا التغيير لأن النشاط البرتغالي لم يؤثر على مصالحهم فبعد أن كانت مهنة النقل التجاري احتكارا خالصا للعرب في المحيط الهندي ، أصبحت الآن في يد البرتغاليين ولذا لم تجد المدن الهندية ضيرا في بيع بضائعهم للبرتغاليين بدلا من العرب. وكما يذكر البعض فقد جمع العداء المشترك للإسلام بين الحكام الهندوس و البرتغاليين.

معركة ديو البحرية :

شعر المسلمون بان حركة البرتغاليين تضر بمصلحة الدولة الإسلامية لان البرتغال بدئوا بإنشاء سلسلة من المراكز التجارية على الساحل الهندي بين سنتي ١٥٠٠- ١٥٠٥ م (بداية القرن السادس عشر م) كما تجاوزوا الحد الأحمر باستيلائهم على جزيرة هرمز على مدخل الخليج العربي عام ١٥٠٧م وغيرها من النقاط الإسلامية الإستراتيجية.

فأرسل السلطان قنصوه الغوري سلطان مصر حملة بحرية كبيرة ضد البرتغاليين تحت قيادة حسين الكردي نائب السلطان في جدة، في عام (١٥٠٥م) حتى وصل إلى جزيرة (ديو) ثم (شول).

و التقى السلطان المملوكي مع الأسطول البرتغالي بقيادة (لورنزو دي الميدا) وذلك في عام (١٥٠٨م) فكان النصر حليفه فى البداية ، ولكن عزز البرتغاليون قوتهم و احتلوا المزيد من المواقع الإسلامية على الساحل الهندي في أول عام (١٥٠٩م) ومنها غوا و دايول كما احتل البرتغال مدينة ديو الهندية مما أثر سلبا على التجارة الإسلامية فعقدت المعاهدات بين الدولة العثمانية و مصر و سلاطين الإمارات الهندية الذين طلبوا مساعدة الدولة الإسلامية إضافة إلى مدينة البندقية و تم إرسال أسطول مشترك من هذه الدول بمساعدة تقنية بحرية من البندقية.

و انضمت القوى الجديدة إلى حسين الكردي ، ولكن باغت البرتغاليون الأسطول في الثالث من فبراير عام ١٥٠٩م و شنوا هجوما غير متوقع على الأسطول الإسلامي مما أدى إلى تدمير الأسطول فكانت معركة ديو البحرية معركة حاسمة و فاصلة حيث كانت إيذاناً بانتهاء سيطرة المسلمين على خطوط التجارة البحرية مع أسيا ولذا تعتبر واحدة من أهم المعارك البحرية في التاريخ و بهزيمة المسلمين فيها شرع البرتغاليون في احتلال الموانئ الإسلامية الرئيسية و احتكروا البحر لمدة ١٠٠ عام.

وقد شهدت الفترة ما بين عامي ١٥٠٧- ١٦٥٠ م صراعا بين القوى العربية في الخليج و بين البرتغاليين ، وقد استخدم البرتغاليون في تلك الفترة اعنف أساليب الإرهاب بكل وسائل القوة لإخضاع العرب لنفوذهم و خلال تلك الفترة حاول العثمانيين تضييق الخناق على البرتغاليين والوقوف أمام مشروعهم الاستعماري.

فقد أدرك السلطان العثماني سليمان القانوني فداحة الأضرار الناجمة عن إبعاد العرب عن أسواق التجارة في الشرق.

و الجهود التي بذلها العثمانيين في ذلك رغم قوتها واتساع نطاقها لم تؤدى إلى نتائج حاسمة ، ولكنها نجحت في منع الاستعمار البرتغالي من الامتداد إلى الداخل ، كما حطمت إمكانية قيام جبهة مسيحية برتغالية حبشية ضد القوى العربية الإسلامية في البحر الأحمر و شمال أفريقيا.

فأرسلوا حملة يقودها سليمان باشا الخادم الذي استولى على مسقط وحاصر شبه جزيرة مسندم و مضيق هرمز وحرض أهل القطيف على الثورة ضد البرتغاليين ، وقد تمكنت الدولة العثمانية من السيطرة على مسقط و جزيرة قشم و لكنها عجزت عن السيطرة على مضيق هرمز.

كما شهدت الفترة ما بين ١٥٥٢ – ١٥٥٤م العديد من المواجهات بين الأسطولين العثماني و البرتغالي عبر الخليج العربي و البحر الأحمر و انتهت بهزيمة العثمانيين ، الذين استطاعوا بعد ذلك تحقيق بعض الانتصارات على البرتغاليين فيما بين ١٥٥٧ – ١٥٨١م خاصة في البحرين و مسقط .

وقد استطاع العثمانيين أيضا بعد ذلك السيطرة على منطقة الإحساء ، كما فقد البرتغاليين البحرين مرة أخرى فى عام ١٥٣٤م عندما أرسل حكام البحرين و الإحساء و البصرة مبعوثين عنهم إلى بغداد للترحيب بالسلطان العثماني سليمان القانوني.

وعندما بدأ الزحف العثماني يؤتى ثماره على حساب الوجود البرتغالي رأت بريطانيا أن ازدياد التوسع العثماني في مياه الخليج يشكل خطر يهدد مركزها و نفوذها في المنطقة ، لذلك سارعت إلى عقد اتفاقيات حماية مع حكام و شيوخ منطقة الخليج العربي لإضعاف النفوذ العثماني في المنطقة.

وقد عملت القوتان الأوربيتان الانجليزية و الهولندية خلال الربع الأول من القرن السابع عشر على إقصاء النفوذ السياسي و التجاري البرتغالي من الخليج العربي.

على الرغم من اتخاذ البرتغاليين كل الإجراءات للدفاع عن أنفسهم بعد أن أحسوا بخطورة القوى المنافسة لهم عن طريق عدة إجراءات مثل إغراق الأسواق الفارسية بكميات كبيرة و متنوعة من البضائع للتأثير على التجارة الانجليزية ، و رغم ذلك حقق الانجليز أربحا ، ولم تأتى هذه الخطوة بأي نتيجة.

وفى الربع الأول من القرن السابع عشر تمكن الانكليز مع حلفائهم الإيرانيين من إخراج البرتغاليين من الخليج العربي نهائياً عام ١٦٢٢م ليفرضوا سيطرتهم عليه و لعدة قرون.

التنافس الاستعماري في الخليج (هولندا)

بدء التواجد و التفكير الهولندي في آسيا خصوصاً و الشرق عموماً في أواخر القرن السادس عشر ، فقبل أن تحصل هولندا على اعتراف اسبانيا باستقلالها ، أخذت تساهم في العمليات الكشفية حول العالم الجديد ، في نفس الوقت الذي أخذت تتمرد فيه على الأسعار الاحتكارية التي كان البرتغاليون يفرضونها على المستهلك الأوروبي ، خاصة بعد أن اتضح للهولنديين أن تحدى قوة البرتغال في البحار الشرقية أصبح أمرا ليس صعبا.

وقد عقد كبار التجار الهولنديين بأمستردام في سنة ١٥٩٢م اجتماعاً قرروا فيه إنشاء شركة للتجارة مع الهند. و منذ ذلك الحين أخذت هولندا تتطلع للوصول إلى الشرق . وفى سنة ١٥٩٥م خرج أول أسطول هولندي إلى أسيا ، و الذي بلغ جزر الهند الشرقية ثم عاد بعد غيبة دامت سنتان و نصف. و أن كان قد فقد عدداً من طاقمه إلا أن الفوائد المادية من وراء البضائع التي جلبت كانت خير تعويض لذلك.

ولم تكن هذه الرحلة بداية لرحلات عديدة فحسب ، بل أنها كانت محركاً لإنشاء شركة الهند الشرقية المتحدة و التي أسست بمرسوم صدر في ٢٠ مارس ١٦٠٢م من الحكومة الهولندية. والذي خولت بمقتضاه حق احتكار التجارة و اتخاذ الإجراءات الكفيلة بردع أي معاملة سيئة يتعرض لها الهولنديون و كذلك حق عقد معاهدات مع حكام الشرق باسم الحكومة الهولندية و بناء القلاع و تعيين الحكام و القضاة في المواقع التابعة و تطبيق القانون و توفير النظام في مثل تلك المناطق.

منذ تأسيس الشركة ، وهي تتطلع إلى تركيز عملياتها في الشرق و كانت المشكلة في كيفية الوصول لذلك الهدف ، خصوصاً أن آسيا في ذلك الوقت بها كيانات سياسية بالصين و الهند و اليابان - لا يستهان بها و يصعب على الشركة تحديها في ذلك الحين ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان البرتغاليون هناك ، وقد أقاموا أسس دفاعية على يد البوكيرك ، ما زالت سليمة ولم يمسسها سوء. ولهذا حرص الهولنديون على تجنب الاصطدام بالكيانات السياسية في المنطقة وكذلك القوى الأوربية الكائنة بها.

و سرعان ما اكتشف الهولنديون أن هناك ثغرة لدخول المنطقة ، تتمثل في أرخبيل الملايو و التي عن طريقها تم اختراق خطوط الدفاع الآسيوية.

وقد وجد الهولنديون في هذه المنطقة المقومات الأساسية التي تلزمهم بالسيطرة عليها ، فهي منطقة واسعة ، تضم عدداً كبيراً من الجزر الخصبة للغاية و التي تمتد بخط منحى يمتد من سومطرة إلى الفلبين و تعد أكثر المناطق الآسيوية جاذبية و أهمية في الشرق كله و التي تتجلى في إنتاجها للتوابل النفيسة إلى جانب المعادن و الصمغ الأعشاب الطبية.

و كان للهولنديين في ذلك الوقت اليد العليا في أوروبا في مجالات التجارة و الملاحة و المال ، وفى الشرق كان البرتغاليون قد خارت قواهم و إذا بشركة الهند الشرقية البريطانية التي تأسست في ١٦٠١ م قد بدأت نشاطها في منطقة شرق آسيا وعلى الرغم من كونها كانت المنافس الوحيد للشركة الهولندية إلا أن إمكانياتها الملاحية و المالية كانت محدودة ولا تمكنها من التصدي للشركة الهولندية ، حيث أن الأخيرة تمتعت برأس مال ثابت يفوق بكثير رأس مال نظيرتها الإنجليزية هذا إلى جانب امتلاكها لعدد كبير من السفن التي تميزت بإمكانياتها التصنيعية و التسليحية و التي جعلتها أكثر قدرة على المناورة من غيرها من السفن الأوربية المعاصرة لها.

ومما سهل على الشركة من مهمتها في المياه الشرقية ، أنها قامت على دمج عدة شركات تجارية هولندية ، كانت قد وصلت من قبل إلى الشرق ونجحت في إقامة علاقات طيبة مع بعض الحكام في أرخبيل الملايو و أسس أغلبها مقرات تجارية و قلاع في ترنيت و بانتام و جزر باندا و رثتها الشركة في هذه المناطق ، بمجرد إتمام عملية الدمج لكل هذا قررت الشركة الهولندية الاتجاه إلى أرخبيل الملايو ، حيث يمكنها من القيام بعمليات واسعة لتجارة التوابل و حيث الظروف المتوفرة للسيطرة على هذه المناطق و التي ستساعدها على احتكار تجارتها.

و حتى تنفرد الشركة بتجارة منطقة أرخبيل الملايو ، عملت على مناهضة الوجود البرتغالي و كذلك الإنجليزي و لذلك أصدرت أوامرها إلى موظفيها في الشرق بضرب المعاقل البرتغالية أينما وجدت و بناء القلاع أينما اقتضت الضرورة ذلك و التخلص من منافسة شركة الهند الشرقية الإنجليزية بكل الوسائل . وقد تحققت كثير من أهداف الشركة الهولندية في خلال فترة لم تتجاوز الخمس عشرة سنة ، حيث دمروا البرتغاليين و طردوهم من جزر كثيرة ، كذلك أبعدوا الإنجليز عن المنطقة بالكامل بعد أن عجزت شركة الهند الشرقية الإنجليزية عن منافسة الشركة الهولندية.

وقد أدت سياسية المناهضة الهولندية للوجود الأوربي بالأرخبيل و خصوصاً للبرتغاليين إلى أحداث تقارب بين الحكام المحليين و القادمون الجدد ، بشكل مكن الهولنديين من تسديد ضربات ساحقة للبرتغاليين.

وفى سنة ١٦٤١م تم للهولنديين انتزاع ملقا حصن البرتغال الحصين في الشرق و التي بضياعها من يد البرتغاليين تمزق النظام الدفاعي الذي وضع أسسه البوكيرك ، خاصة بعد أن أقصى الهولنديون الوجود البرتغالي في سريلانكا سنة ١٦٥٤، و احتلالهم لكوتشين - مؤسسة البرتغال الأولى - في سنة ١٦٦٠م.

و بعد ذلك أخذ الهولنديون يقومون من كولمبو بحملات منظمة على كل أثر للبرتغاليين في المياه الهندية ، ولذلك أخذت تتساقط محطاتهم التجارية الواحدة بعد الأخرى في يد الهولنديين ولم يكتفِ الهولنديون بذلك بل استولوا على سيلان و جزر الصوند و وضعوا أيديهم على تجارة البن و الشاي إضافة إلى الفلفل و بعد ذلك نفذوا إلى الخليج العربي و نافسوا البرتغاليين فيه و لم يبقى للبرتغاليين بعد ذلك سوا بعض الممتلكات مثل غوا في الهند و مكاو في الصين مما ساعد على انهيار الإمبراطورية البرتغالية التجارية بشكل سريع تحت أقدام التحديات الهولندية في الشرق.

و منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر بدأ البرتغاليون يخسرون الأسواق في منطقة الخليج بسبب المنافسة الانجليزية و الهولندية. كما تمكن الانجليز و الهولنديون و الفرس أيضا في إلحاق الهزيمة بهم في المحيط الهندي و الخليج العربي.

و بالفعل بدأ البرتغاليون في فقدان مضيق هرمز الذي استعاده الشاه الايرانى عباس بمساعدة الانجليز وهكذا خسر البرتغاليون أفضل ممتلكاتهم في الشرق فكان إيذانا بنهاية التفوق البرتغالي في الخليج . ولذلك كان طرد البرتغاليون من مضيق هرمز احد المعالم البارزة في تاريخ المنطقة.

-ولكن رغم هذا التفوق السريع للهولنديين في المنطقة إلا انه لم يستمر طويلا لعدة أسباب أهمها :

-التنافس الانجليزي الهولندي : فأطماع الانجليز في السيطرة على التجارة في الشرق و الخليج العربي كان لا بد أن تقودهم إلى نزاع مع الهولنديين الذين حلوا محل البرتغاليين في جنوبي شرقي آسيا و قد ازدادت حدة التنافس بين الانجليز و الهولنديين بعد تأسيس شركة الهند الشرقية الانجليزية التي احتكرت التجارة من رأس الرجاء الصالح في أقصى جنوب أفريقيا إلى مضيق ماجلان في جنوب أمريكا الجنوبية.

وعلى الرغم من وضع الانجليز القوى في الخليج العربي في الربع الأخير من القرن السابع عشر فإنهم لم ينفردوا في السيطرة على منطقة الخليج العربي بل تقاسموا النفوذ البحري و التجاري مع الهولنديين و بعض الكيانات العربية مثل عرب عمان و أيضا مع البرتغاليين أنفسهم في بعض الأوقات.

- هناك عامل أخر هام سارع بنهاية النفوذ و السيطرة الهولندية وهو سياسة شركة الهند الشرقية الهولندية نفسها ، فبعد أن استقرت الأمور للشركة الهولندية في أرخبيل الملايو و أصبحت هولندا في بداية القرن السابع عشر أكبر قوة أوربية في البحار الشرقية ، راحت الشركة تعمل على احتكار تجارة التوابل و دفعها هذا الاحتكار إلى السيطرة على عمليات الإنتاج و تنظيمها بشكل جعلها تتحكم في السوق. فأخذت تتدخل في تحديد الكميات المنتجة من التوابل و تقوم بإتلاف ما زاد منها عن الحد المطلوب وقد امتدت عملية الإتلاف لتشمل أشجار التوابل نفسها.

هذه السياسة كان لها أكبر الأثر في وقف قوة الدفع الهولندية في البحار الشرقية في أواخر القرن السابع عشر و إذا كانت شركة الهند الشرقية الهولندية قد تمكنت من احتكار تجارة التوابل طيلة القرن السابع عشر ، إلا أنها لم تتمكن من الحفاظ على مستوى قوتها إلى ما بعد ذلك وذلك للتحديات العديدة التي أوصلت نشاطها التجاري إلى طريق شبه مسدود.

و نجمت أولى التحديات التي واجهت الشركة عن سياستها بالمنطقة حيث ترتب عليها ازدياد الضرائب – بالإضافة إلى الضرائب التي كانت تدفع من قبل للسلطات الحاكمة و تحولت إلى الهولنديين و إلزام الأهالي بتسليم المحصول إجبارياً للشركة و إتلاف ما يزيد منه عن حاجة الشركة و حرمان السكان المحليين من ممارسة التجارة و تحطيم سفنهم و تدميرها ، بلاضافة الى شيوع الفقر و البؤس وشلل الحياة الاقتصادية و التي أدت في النهاية إلى انتشار أعمال القرصنة بشكل خطير كان له تأثيره على تحركات الشركة و نشاطها بالمنطقة.

كما ازدادت نفقات الشركة عن ايرادتها ، وذلك نتيجة سوء نظام الحسابات و خيانة موظفي الشركة و افتقارهم إلى النزاهة ، بعد اتساع الإمبراطورية ، هذا إلى جانب ارتفاع الفوائد التي كانت تدفعها الشركة لحملة أسهمها و التي تراوحت بين ٢٠% و ٤٠% و التي كان لها دور في تعثر نشاط الشركة المالي ، خاصة بعد أن اتسعت الممتلكات و ازدادت النفقات العسكرية و السياسية.

- أيضا تركيز الشركة لكل نشاطاتها التجارية حول التوابل النفيسة و تمسكها بذلك. في الوقت الذي تغيرت فيه طبيعة الطلبات الأوربية على السلع الآسيوية ، و بذلك عجزت الشركة عن التكيف مع الوضع الجديد خاصة بعد أن ازداد الوجود الأوربي بالمياه الآسيوية و خاصة الوجود البريطاني الذي احتكر تجارة المنسوجات الآسيوية بالأسواق الأوربية.

وما تعرضت له هولندا من مصاعب سياسية و عسكرية كبرى كان له تأثير واضح على نشاط الشركة في البحار الشرقية ، فبسبب اشتراك هولندا في حرب الاستقلال الأمريكية عام ١٧٨٠م ضد بريطانيا و مساهمة شركة الهند الشرقية الهولندية بالشرق في الصراع ضد بريطانيا ، الأمر الذي أصبح علامة فارقة في تاريخ الشركة ، تكبدت الشركة بسبب ذلك خسائر فادحة أفقدتها سيلان و مواقع كثيرة بالشرق.

و بهذا قابلت الشركة مزيد من التحديات التي أثرت في كل الحالات على ميزانية الشركة التي سارت في طريق الإفلاس بسبب قلة الإيرادات في وقت كانت المصروفات تتضاعف ، وهذا أضطر الشركة إلى الاقتراض إلى حد أعجزها عن الاستمرار ، لذلك تقدمت الحكومة الهولندية باقتراح لإنقاذ الموقف ، بحيث تأخذ الحكومة الهولندية على عاتقها مسؤوليات الدفاع و السماح بالتجارة الخاصة و الحد من احتكار الشركة التجاري و أن تدفع الحكومة ديون الشركة التي بلغت حوالي ١٤٠ مليون جلدر.

وقد تمت هذه التسوية مقابل أن تتخلى الشركة عن جميع ممتلكاتها و توابعها في الأرخبيل للحكومة الهولندية و بقبول ذلك انتهى دور شركة الهند الشرقية الهولندية في ١٧٩٨م ، و ورثت الحكومة الهولندية ممتلكات الشركة.

وبعد وقوع هولندا عام ١٦٧٢م تحت حكم فرنسا ازداد موقفها تأزما وضعفا ألأمر الذي مكّن انجلترا من القضاء على قوتها التجارية ومن ثم وضع الانجليز يدهم على ممتلكات هولندا في الهند و استولوا على سيلان ثم على المواقع التجارية الهولندية في الخليج العربي .

التنافس الاستعماري في الخليج العربي (فرنسا)

بدأ اهتمام الفرنسيين بالتجارة مع الشرق منذ بداية القرن السادس عشر شأنها شأن القوى الأوروبية الكبرى في ذلك الوقت بعد حركة الكشوف الجغرافية. ولم يكن الوجود الفرنسي في بحار الشرق عامة و الخليج العربي بصفة خاصة ملحوظا إذا ما قورن بالدول الأوروبية المنافسة الأخرى مثل البرتغال و هولندا و انجلترا. وقد وصلت أول رحلة تجارية فرنسية إلى الهند في مطلع القرن السادس عشر ولكنها بالطبع واجهت بمعارضة قوية من البرتغاليين أصحاب الزعامة في المنطقة في ذلك الوقت.

و كانت فرنسا في محاولاتها الاتصال بمنطقة الخليج العربي حريصة على إبراز دورها في مجال حماية الكاثوليك في أسيا ، ففي عام ١٦٢٦م أرسلت فرنسا إلى إيران سفيرا و كلفته بالقيام بثلاث مهام :

-إقامة تحالف مع إيران
-حماية المسيحيين الكاثوليك الموجودين بها
-إقامة علاقات تجارية مع إيران لفتح المجال بعد ذلك لمنطقة الخليج.
غير أن هذه المحاولة قد فشلت بسبب عدم مقدرة السفير الفرنسى تجاوز القسطنطينية.

و ربما وجدت فرنسا أن الستار الديني قد يكون عاملا مساعدا لها للنفوذ من خلاله إلى منطقة الخليج العربي في الوقت الذي كان التنافس التجاري شديد بين قوى استعمارية أخرى سبقت فرنسا إلى المنطقة و بسطت نفوذها بالفعل.

بعد فشل تلك المحاولة بثلاث سنوات أرسلت فرنسا إلى موسكو في محاولة لفتح طريق تجارى بين فرنسا و إيران عبر بلاد البلطيق و روسيا و بحر قزوين ، ولكن لم تأتى هذه المحاولة بنتائج ملموسة.

ثم أرسلت فرنسا في عام ١٦٢٨م إلى إيران بعثة تبشيرية برئاسة أحد أباء الكنيسة حاملا رسائل من الملك لويس الثالث عشر إلى الشاه عباس الأول.

وقد حظيت هذه البعثة بحفاوة الشاه الايرانى عباس الأول ، الذي سمح للبعثة أن تنشأ مراكز تنصيرية في كل مكان بأصفهان و بغداد التي كانت تابعة للدولة الصفوية في ذلك الوقت ، وكان للفرنسيين بعد ذلك دورا هاما في مجال الإرساليات الدينية بفارس لوجود عدد كبير من الرهبان الفرنسيين هناك.
وهكذا نفذ الفرنسيون الى منطقة الخليج العربي من خلال ذلك النشاط الديني الملحوظ.

و لأن النشاط التجاري كان الهدف الأساسي للمحاولات الفرنسية للتواجد في الشرق و الخليج العربي فقد حاولت فرنسا منذ عهد الملك هنري الرابع ١٥٨٩- ١٦١٠ م أن يكون لها نصيب في التجارة الشرقية بعد أن أدركت أهمية مشاركتها في هذا المجال مع القوى الاستعمارية الأوروبية المنافسة.

فقام الملك الفرنسي هنري الرابع في ١٦٠١م (بعد عام من تأسيس الشركة الانجليزية) بمحاولة لتأسيس شركة فرنسية للتجارة مع الهند على غرار شركتي الهند الشرقية البرتغالية و الاسبانية ولكنه فشل.

و استمرت المحاولات الفرنسية في هذا المجال حتى نجحت في عام ١٦٦٤م (بعد حوالي أكثر من نصف قرن) في تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية وذلك بمبادرة شخصية من وزير المالية الفرنسي كولبير بهدف تطوير مجالات التجارة الفرنسية مع بلاد الشرق.

و اصدر الشاه الإيراني عباس الثاني مرسوما بمنح الشركة الفرنسية امتياز بإعفائها من من الرسوم و الجمارك لمدة ثلاث سنوات ، بالإضافة إلى حقوق ممارسة الأنشطة التجارية الممنوحة للأجانب الآخرين.

وقد أتفق الطرفان الفرنسي و الإيراني على تبادل المصالح و الخدمات ، فتعهد الفرنسيين بإغداق العطايا و الهدايا على الشاه الذي بدوره وعد الفرنسيين بإبرام معاهدة رسمية للتجارة مع فرنسا في حال حدوث ذلك سواء من ملك فرنسا أو من الشركة نفسها.

وكان متوقعا أن يزيد النفوذ الفرنسي من خلال هذا الوفاق مع الشاه الإيراني ، ولكن حدث العكس وبدلا من أن تسعى فرنسا من خلال الملك و الشركة للسير في هذا الاتجاه المدعم لوجودها في الخليج العربي و توطيد علاقتها مع الشاه الإيراني ، حدث العكس.

فقد أهمل الملك الفرنسي و أيضا الشركة الفرنسية إرسال ما وعدوا به الشاه الإيراني من هدايا الأمر الذي أغضبه و هدد بوضع حد لنشاط الفرنسيين بالمواني الفارسية هذا بالإضافة إلى انشغال فرنسا بمشكلات القارة الأوروبية و خوضها عدة حروب خاصة في عهد لويس الرابع عشر ، فضلا عن انشغال الشركة الفرنسية بفتح أسواق تجارية لها في سيام و الصين.

و خلال القرن القرن السابع عشر لم تتح للشركة الفرنسية الفرصة الكاملة للمشاركة بشكل كبير في تجارة فارس و الخليج العربي بسبب المنافسة و المعارضة الشديدة من القوى الأوروبية الأخرى.

و انتهت المنافسة الفرنسية الهولندية في المنطقة لصالح الهولنديين ، الذين سبقوهم إلى المنطقة ولذا فلم يفسحوا لهم المجال و رغم وجود وكالة فرنسية في بندر عباس إلا أن نشاط الشركة الفرنسية في الميناء كان يغلب عليه الركود.

و جاءت فرصة أخرى لفرنسا لتحسين علاقتها بالفرس عام ١٦٩٩م عندما حاولت الحكومة الفارسية أن تحصل على مساعدة عسكرية من فرنسا لتحقيق مشروعها في الاستيلاء على مسقط لوضع حد لنشاط اليعاربة في عمان ، وكانت كل من هولندا و انجلترا قد رفضتا مساعدة الفرس في ذلك في الوقت الذي كانت فيه المساعدات البرتغالية غير فعالة لتحقيق هدف الفرس.

وقد تضمن العرض الفارسي لفرنسا الدخول في حلف عسكري مع فرنسا لاحتلال مسقط على أن تكون النفقات مناصفة بينهما ، هذا بالإضافة إلى الامتيازات التجارية لفرنسا.

وكان هذا العرض الفارسي بمثابة صفقة عظيمة تفوق كل التسهيلات و الامتيازات التي حصلت عليها هولندا و انجلترا. و رغم ذلك فالمذكرة و العرض الفارسي لم يجد صدى لدى فرنسا ولا نعرف هل بسبب عدم وصول هذا العرض أصلا إلى باريس أم وصوله متأخرا. و يؤكد الباحثين أن وثيقة هذا العرض الفارسي ليس لها أثر في المحفوظات و الوثائق الفرنسية حتى ألان.

و يجب أن نذكر هنا أن القوى الاستعمارية في منطقة الخليج خاصة هولندا و انجلترا كانتا تسعيان دائما لإعاقة أي تقارب أو علاقة بين فرنسا و إيران تقرب فرنسا من الخليج العربي.

و رغم نجاح فرنسا في إبرام عدة معاهدات مع الفرس إلا أن انجلترا و هولندا كانا دائما يمارسان كل ما أمكن من ضغوط لإفشالها.

و يرى الكثير من الباحثين أن أن نظرة الفرنسيين إلى فارس أو إيران إلى منطقة الخليج ارتكزت على كونها طريقا استراتيجيا إلى مستعمراتها في الهند أكثر منها سوق لتصريف البضائع أو سوقا للتجارة الفرنسية.

و يؤكد ما سبق أن الفرنسيين كانوا يعملون لامتلاك الأراضي و السيطرة السياسية ولذلك اتصفت أعمال شركة الهند الفرنسية بنوع من الصفات التي تجمع بين الحماقة و التجبر و التخطيط السيئ ولذلك واجهت صعوبات كبيرة.

فرنسا و عمان :

كانت تقارير الخارجية الفرنسية التي ترد إلى الحكومة من مستعمرتها جزيرة موريشيوس تنصح بضرورة إيجاد علاقات تجارية مع الحكام العرب على سواحل الخليج العربي وعلى وجه الخصوص مع سلطنة عمان بسبب موقعها الهام على مدخل الخليج العربي. و أول اتصال لفرنسا مع سلطنة عمان يرجع إلى عام ١٧٥٩م في عهد الإمام أحمد بن سعيد عندما قامت سفينتين فرنسيتين قادمتين من جزيرة موريشيوس بمهاجمة السفن التي تحمل العلم الانجليزي في ميناء مسقط ، ثم الهجوم على الوكالة البريطانية في بندر عباس وتم تخريبها بالكامل.

وقد تدخل الإمام احمد بن سعيد لحل هذه الأزمة ، حيث كان حريصا على إقامة طيبة مع فرنسا لمواجهة الخطر الانجليزي و الهولندي الذي كان يهدد بلاده.

و أعرب الإمام احمد عن رغبته في زيادة التبادل التجاري مع فرنسا كما طلب إرسال مندوب فرنسي إلى مسقط و بالطبع استجابت فرنسا إيمانا منها بأهمية مسقط كمحطة لتموين سفنها القادمة من موريشيوس في طريقها إلى الهند.

و رغم هزيمة فرنسا أمام انجلترا بعد حرب السنوات السبع (١٧٥٦-١٧٦٣) التي أجبرتها على التنازل عن كل ممتلكاتها في شبه القارة الهندية بمقتدى معاهدة باريس ١٧٦٣م إلا أن فرنسا ظلت حريصة على مواصلة الحفاظ على علاقتها بحكام مسقط.

وقد ساءت العلاقات الفرنسية العمانية بعد ذلك بسبب عمليات القرصنة التي مارستها السفن الفرنسية ضد نظيرتها العمانية أو ضد السفن الأجنبية الأخرى الراسية في الموانى العمانية.
ونتج عن ذلك رفض مسقط إقامة أي وكالة تجارية فرنسية بها مثلما حدث في ١٧٨٥م.

و الجدير بالذكر هنا أن الحكومة العمانية قد تغاضت كثيرا عن أعمال القرصنة الفرنسية ولم ترد بعنف على هذه الهجمات فقد كانت عمان هي الأخرى حريصة لأخر مدى على علاقتها التجارية بفرنسا ، لأن الأسطول العماني كان يقوم بعملية نقل البضائع بين الخليج و بين المستعمرات الفرنسية ، ومن ثم كان التبادل التجاري أكثر ربحا لأهل عمان ، وهذا يفسر سبب تغاضى سلطان عمان عن الاعتداءات الفرنسية بل و استعداده لإقامة وكالة فرنسية بمسقط مرة أخرى في عام ١٧٨٥م في نفس الوقت الذي رفض فيه طلبا انجليزيا بهذا الخصوص.

وقد رأت الحكومة الفرنسية في ذلك الوقت أن البحر الأحمر أكثر أهمية لها من الخليج العربي حيث كان لها ممثلون تجاريون في المدن المصرية يمكنهم الاتصال بجزيرتي موريشيوس و بوربون و إكمال الحلقة التجارية وصولا إلى فرنسا. كما كانت ترى فرنسا أن البحر الأحمر سيكون هو المنفذ لحملتها العسكرية التي تخطط لإرسالها إلى الهند و التي كانت حملتها الأولى على مصر في ١٧٩٨م هي الخطوة التمهيدية لها.

وما لبث أن تغيرت وجهة النظر الفرنسية وتنبهت مرة أخرى لأهمية الخليج العربي وضرورة وجود مراكز لها على سواحله لتتمكن من مواجهة بريطانيا.

و بناءا على اقتناع فرنسا مرة أخرى بأهمية الخليج العربي فقد سعت إلى :

١- ضرورة إنشاء قنصلية لها في مسقط ٢- إرسال بعثة إلى فارس لمراقبة الطرق المؤدية إلى الهند.

وعلى هذا الأساس دعمت فرنسا الإمام سلطان بن احمد لحكم عمان في ١٧٩٢م و بمجرد وصوله إلى الحكم قامت فرنسا بإجراءات إنشاء قنصلية لها في مسقط و أعلنت صراحة أن الغرض من إنشاء هذه القنصلية هو التجسس على حركات الانجليز في الهند و دراسة الأحوال الداخلية في عمان و الجزيرة العربية و الطرق التي يمكن أن يستخدمها الفرنسيون في حال غزوهم للشرق.

و تركزت أهمية مسقط لفرنسا في ذلك الوقت أنها :

-مكان استراتيجي لمراقبة شرق إفريقيا و الهند و الخليج
-يمكن للقنصل الفرنسي بها أن يبعث الرسائل بطرق متعددة برا و بحرا شرقا و غربا
-وجود قنصلية بمسقط تسهل التعامل مع جذر موريشيوس و بوربون ومع المندوبين الفرنسيين في سوارت و كانتون و مدراس في الهند
-يمكن للقنصل الفرنسي في مسقط المساهمة في زيادة التجارة الفرنسية في الخليج إضافة إلى جمع المعلومات الهامة لفرنسا.

و لاشك أن فرنسا كانت تعطى اهتماما كبيرا لعمان باعتبارها نقطة تحكم و سيطرة على الطريق الموصل إلى الهند للقادم من الخليج العربي من ناحية أو القادم عن طريق المحيط الهندي و البحر الأحمر من ناحية ثانية. ووجودها في عمان يمكنها من مراقبة انجلترا و إدارة الصراع بينهما بما يحقق مصالح فرنسا. كما تمثل أملا لها في استعادة مستعمراتها التي فقدتها بسبب هزائمها أمام انجلترا من قبل.

وقد تركز نشاط فرنسا في الخليج العربي في معظمه في عمان ، ولم يكن لها نشاط يذكر مع أي منطقة عربية أخرى على الخليج سوى ممثل سياسي لها في بغداد.

وفى الغالب كان الممثل السياسي الفرنسي في بغداد أحد رهبان الإرساليات الدينية الفرنسية التي ترك لها في أغلب الأحيان مباشرة النشاط التجاري الفرنسي .

و نلاحظ أن علاقة فرنسا بمنطقة الخليج العربي كان يحكمها علاقة فرنسا بدول أوروبا خاصة انجلترا ، فكل الخطوات السياسية و التجارية التي اتخذتها فرنسا خارج القارة الأوروبية عموما و الخليج العربي خصوصا كانت نتاج التنافس الاستعماري بينهما.

و رغم أن فرنسا كانت لديها الإمكانيات الكبيرة التي تجعلها أكبر قوة استعمارية في القرن السابع عشر ، نظرا لتعداد سكانها الكبير الذي يفوق باقي الدول الأوروبية ، بلاضافة إلى إمكانياتها الاقتصادية و المعدنية ، فضلا عن امتلاكها أفضل جيش في عهد الملك لويس الرابع عشر ، إلا أنها لم تحقق النجاح الملحوظ في منطقة الخليج العربي بالمقارنة مع القوى الاستعمارية الأخرى.

فقد اتجه اهتمام الفرنسيين دائما للقارة الأوروبية بسبب الصلة الوثيقة التي تربط فرنسا ببعض الشعوب الأوروبية ، ولذلك كانت الحروب الأوروبية تستنفذ القسم الأكبر من طاقة فرنسا .

ولعل ما يلفت النظر في علاقة فرنسا بالجانب العربي أن تلك العلاقة كانت دائما غير واضحة ، فعلى الرغم من أن أمراء العرب في سواحل الخليج العربي و الجزيرة العربية كانوا على استعداد لصداقة فرنسا بسبب الأطماع البريطانية في بلادهم ، إلا أن السياسة الفرنسية لم تتخذ هدفا واضحا في علاقتها بالخليج إذ كان طابع هذه السياسة حتى منتصف القرن الثامن عشر يتسم بالتردد و عدم الثبات. كما أن بريطانيا لم تتوان في الوقوف بالمرصاد لكل المحاولات الفرنسية الرامية إلى مجابهة النفوذ البريطاني الذي كان يزداد بصورة واضحة في كل مناطق الخليج .

الأطماع الاستعمارية في الخليج العربي (انجلترا)

كانت الثورة الصناعية التي اجتاحت أوروبا المحرك الأساسي لتصارع الدول و ظهور سياسة الاستعمار التي كانت تسمى بالاستعمار الاقتصادي و التجاري إلى جانب ضعف الدولة العثمانية الذي أتاح المجال لتكالب دول الاستعمار الأوروبي على المنطقة ، مما ترتب عليه تغير سياسة بعض الدول تجاه الدولة العثمانية و أكبر هذه الدول هي بريطانيا التي غيرت سياستها من المحافظة على وحدة الدولة العثمانية إلى التسابق لاقتسامها و تفتيت أراضيها ، ومن ثم بدأ الصراع الدولي للسيطرة على المنطقة.

و كان هذا الصراع صراعاً سياسياً و اقتصادياً و دينياً من أجل امتلاك أكبر جزء من ممتلكات الدولة العثمانية و خاصة الخليج العربي ليصبح بذلك منطقة إستراتيجية مهمة للإنجليز حيث يقع في الطريق إلى الهند.

وقد بدأت محاولات الانجليز للوصول إلى الشرق في النصف الثاني من القرن السادس عشر لرغبتهم الشديدة للمشاركة في التجارة الشرقية ، ولكن تخوفهم من القوة البرتغالية في البحار الشرقية في ذلك الوقت دفعهم إلى البحث عن طرق أخرى لا يسلكها البرتغاليون ، فبدئوا بالمتاجرة مع الشرق عن طريق روسيا وبحر قزوين ثم أرسلوا عدة حملات تجارية ولكنها لم تحقق نجاحا ملحوظا.

و استمر الوجود البرتغالي في مناطق الخليج العربي لأكثر من مائة عام وعانت منه عُمان و منطقة جلفار (رأس الخيمة)حتى البحرين ، حيث كان للقاعدتين العسكريتين في مسقط (قلعة الأدميرال و سانت جوا) دوراً كبيراً مع القاعدة البحرية في هرمز في السيطرة على المنطقة ، و بقي الحال على هذا لمدة أكثر من مائة عام حتى بدأت كل من (هولندا و بريطانيا) الحصول على مكاسب في الخليج . وفي عام ١٦٢٢م تمكن الشاه عباس الصفوي بمساعدة أسطول بريطاني تابع لشركة الهند الشرقية الإنجليزية من الانقضاض على القاعدة البرتغالية في هرمز و طرد البرتغاليين.

و أيضا كان لانتشار البروتستنتية في أوروبا نتائج بالغة الأهمية في العلاقات بين الشرق و الغرب في القرن السادس عشر ، فقد رفضت الشعوب الأوروبية البروتستنتية الاعتراف بمنحة البابا للبرتغال باحتكار التجارة الشرقية في عام ١٤٥٤م و تمكنت انجلترا في نهاية القرن السادس عشر من هزيمة الأسطول الاسباني (الأرمادا) و أصبح في مقدورهم الوصول إلى المياه الشرقية و منافسة البرتغال و اسبانيا في الأسواق الشرقية .

و بدأ الانجليز في إنشاء مراكز تجارية لهم وسط معارضة شديدة من البرتغاليين مستغلين رغبة السكان المحليين في التخلص من الحكم البرتغالي بلاضافة إلى عداء الفرس و الهنود و العرب للبرتغاليين ، و تمكنوا من إلحاق الهزيمة بهم في منطقة الخليج العربي.

و أصبح المجال ممهدا لانجلترا التى أسست شركة الهند الشرقية على غرار الشركة البرتغالية لتسير على نفس الخط الاستعماري من خلال السيطرة على التجارة.

دور شركة الهند الشرقية البريطانية :

وقد صدر قرار ملكي في ٣١ ديسمبر سنة ١٦٠٠م من ملكة بريطانيا إليزابيث بتأسيس شركة الهند الشرقية و منحت الملكة هذه الشركة امتياز التجارة في الهند و الشرق ، وكان لهذه الشركة دور كبير في النفوذ و السيطرة الانجليزية ليس فقط على الخليج العربي ولكن على المنطقة بأسرها.

و تعود العَلاقة بين شركة الهند الشرقية و منطقة الخليج العربي إلى بدايات تواجدها في الهند ، حينما حدثت زيادة في الإنتاج و فائض من الأقمشة الصوفية الإنجليزية لديها و وجدوا لها سوق في إيران.

و حصل رجال الشركة على فرمان من الشاه عباس الصفوي في عام ١٦١٩م بفتح وكالة للشركة في ميناء جاسك عند مدخل الخليج العربي بعيداً عن مضايقات البرتغاليين في مضيق هرمز ، وبعد ذلك كان فتح وكالة في شيراز و أخرى في مدينة أصفهان و كان ذلك في عام ١٦١٧م.

وفي عام ١٦٢٠م منع البرتغال سفن شركة الهند الشرقية من دخول ميناء جاسك ، و حدث الصدام بين السفن الإنجليزية و السفن البريطانية ، وساعدت شركة الهند الشرقية الشاه عباس الصفوي على طرد البرتغاليين بشكل نهائي من جزيرة هرمز عام ١٦٢٢م وبعد تلك الأحداث نقلت الشركة و كالتها من جاسك إلى ميناء بندر عباس.

وفي عام ١٧٦٣م نجح رجال شركة الهند الشرقية في الحصول على الموافقة من الايرانيين من أجل فتح وكالة جديدة لهم في منطقة بوشهر، وهذا العمل نقل مركز نشاط الشركة في أواخر القرن الثامن عشر من مدخل الخليج العربي عند جاسك و بندر عباس إلى أعلاه في البصرة و بوشهر ، وبذلك أصبحت بريطانية صاحبة السيادة التجارية في هذه المنطقة بلا منازع و جعلت حكومة بومباي من ميناء بوشهر المقر الرئيسي لها في الخليج العربي.

وفي بداية عام ١٨١٣م توقف النشاط التجاري للمعتمد البريطاني في بوشهر و تحول عمله إلى الجانب السياسي ، كما حرصت حكومة بومباي على فتح وكالة لها في مسقط و التي كان يصل نفوذها من جزيرة كشم حتى ساحل أفريقيا الشرقي و التي تسيطر على مدخل طريق تجاري و بريدي له أهمية ، غير أنّ حكام دولة البوسعيد فى عمان كانوا لا يشجعون عملاً مثل هذا ، وعندما تقدمت شركة الهند الشرقية عام ١٧٨٥م إلى حاكم عُمان السيد حمد بن سعيد تطلب منه فتح وكالة لها ، تم رفض هذا الطلب.

و كانت عمان من خلال ميناء مسقط تقوم بعملية توزيع تجارة الهند القادمة إلى الخليج العربي ، في حين ميناء البصرة كان يقوم بتوزيع تجارة أوروبا الآتية عبر الطريق الصحراوي ، وقد شاركت سفن عُمان السفن البريطانية و الهندية في عملية النقل البحري.

وفي عام ١٦٤٣م عرفت شركة الهند الشرقية بريد الصحراء بين البصرة و حلب منذ افتتاح وكالة البصرة فيها ، حيث كانت تخرج القوافل من غرب الفرات ثم تعبر بادية الشام نحو حلب حيث تتولى الوكالة البريطانية التابعة لشركة شرق البحر الأبيض المتوسط عملية نقل البضائع و البريد بسفنها إلى الجزر البريطانية.

و كان يستغرق وصول البريد ما بين الهند و بريطانيا عبر ذلك الطريق خمسة أشهر بينما كان يستغرق من طريق رأس الرجاء الصالح ١١ شهراً و كان كل مقيم سياسي بريطاني في البصرة قد عمل على توثيق عَلاقاته مع شيوخ القبائل في البادية.

إن تأسيس شركة الهند الشرقية جاء نتيجة للتوسع التجاري الذي شهدته إنجلترا في النصف الأخير من القرن السادس عشر بعد انتصار الإنجليز على الأسطول الإسباني في معركة أرمادا عام ١٥٨٨ ، حيث اندفع الإنجليز للبحث عن أسواق جديدة لتجارتهم المتنامية.

وكانت عمليات الاستغلال الناجحة التي قام بها البرتغاليون في الشرق قد هيأت المزيد من الدوافع و المحفزات للإنجليز لأن يستغلوا فرص توسيع تجارتهم.

وقد ازدهر مركز الشركة هذا حيث أصبحت تدار جميع العمليات التجارية من خلاله ، ولا سيما في فترة انتقال مركز الشركة من بندر عباس للبصرة بصورة مؤقتة على أثر التهديد الهولندي للشركة.

ولكن شركة الهند الشرقية التي احتكرت تجارة الشرق لهذه الفترة جوبهت بمنافسة لم تكن متوقعة من قبل شركة إنجليزية جديدة برئاسة وليم كورتين الذي أفلح في الحصول على ترخيص من الملك تشارلس الأول للقيام بالعمليات التجارية في الشرق

وكان لابد من احتدام الصراع بين الشركتين البريطانيتين ولكن توصلتا معا إلى دمج أعمالهما عام ١٦٤٩ ليصبحا شركة موحدة تتقاسمان الأرباح مناصفة.

أما انعكاسات تلك التطورات على منطقة الخليج العربي ، فقد هيأت الظروف للشركة الموحدة مناخاً " إيجابياً " لتوسيع نشاطها لا على فارس وحدها ، بل على معظم السواحل العربية في الخليج العربي.

وعلى الرغم من مقاومة التجار الفرس لشركة الهند الشرقية و منافسة الهولنديين ثم الفرنسيين لها ، فإنها استطاعت أن تتفوق و تبسط نفوذها بقوة في المنطقة ، وذلك بفضل الدعم الذي حصلت عليه الشركة من خلال المرسوم الذي حصلت عليه في عام ١٦٥٧ و الذي يعطيها الحق في التجارة مع الشرق. وقد استمر دعم استمر دعم الحكومة البريطانية للشركة و أصدر الملك شارل الثاني مرسوماً عام ١٦٦١ أعطى الشركة امتيازاً أعظم بكثير مما كانت قد حصلت عليه في الفترات السابقة.

كذلك استطاعت الشركة القضاء على المنافسة الأخرى لها ، سواء الهولندية أو الفرنسية . وهكذا أصبح الميزان التجاري في منطقة الخليج العربي لصالح شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، و أصبحت المناطق المطلة على الخليج العربي من الأسواق الرئيسة للشركة ، و صارت العملات الذهبية تخرج من مناطق الخليج العربي دون قيود بما فيها اللؤلؤ.

وغدت شركة الهند الشرقية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر دون أيّ منافسة أجنبية تذكر في الخليج. وقد حلت البصرة محل " بندر عباس " مركزاً رئيساً للشركة في الخليج العربي اعتباراً من عام ١٧٦٣.

و الحقيقة أن المنافسة للنفوذ الانجليزي في المنطقة لم تكن من قبل البرتغاليين فقط و إنما كانت هناك قوى أخرى تعمل على إضعاف الوجود الانجليزي في الخليج العربي ومن أهمها ألمانيا و فرنسا و روسيا.

وعلى الرغم من المواثيق و المعاهدات التي كانت تعقد بين بريطانيا وغيرها من الدول الكبرى ، إلا أن بريطانيا كانت في أغلب الأحيان تتحايل من أجل خرق تلك التعهدات لتستأثر بالخليج وحدها ، وقد نجحت في إبعاد فرنسا عن طريقها ، كما نجحت في إحباط مشروع ألمانيا الذي عرف تاريخياً بخط حديد برلين – بغداد لينافس النفوذ البريطاني في المنطقة.

المنافسة الألمانية و الروسية و الفرنسية :

وكانت ألمانيا وليدة الثورة الصناعية التي جعلت منها دولة قوية و خاصة بعد أن توحدت على يد بسمارك ، وقد اتخذ الصراع الألماني البريطاني طابعاً تجارياً عن طريق نشر البضائع الألمانية المشهورة بجودتها و كفاءتها التي لا تنافس ، مما شكل خطراً هدد الوجود الاقتصادي البريطاني في المنطقة ، ومن ثم كان دخول روسيا دولة معارضة لإتمام مشروع خط حديد برلين – بغداد الذي كان يشكل خطورة على سير الخطوط الحديدية الروسية في القوقاز و بقية المناطق ، بل إن النفوذ الألماني سيحول دون وصول روسيا إلى المياه الدافئة في الخليج العربي و البحر الأبيض المتوسط.

ولذا كان الصراع صراعاً دولياً لتحدي الوجود البريطاني المهيمن على الخليج ، وهو ما دفع روسيا لتنفيذ محاولتها للوصول إلى الخليج ، و رغبتها في إنشاء ميناء و قاعدة حربية في الخليج ، فاختارت روسيا فارس بحكم الجوار الجغرافي و الحدود الطويلة المشتركة بينهما ، لتكون قاعدة انطلاق نحو طموحها للبحار المفتوحة و المياه الدافئة ، فأصبحت فارس محوراً أساسياً للوصول إلى الخليج العربي.

ولم يقتصر نشاط روسيا على الأمور العسكرية فقط للنفوذ إلى فارس و السيطرة عليها ، بل بدأت تخوض مجالات أخرى تمثلت في إرسال القناصل بصورة مستمرة و إقامة شبكة من خطوط السكك الحديدية و الخطوط الملاحية و الشركات التجارية و البعثات الروسية على هيئة ضباط عسكريين و زيارات مسئولين و أطباء للبحث عن منفذ لهم على الخليج العربي ، فكان التركيز على فتح القنصليات في مدن فارس و الخليج يشكل نشاطاً دبلوماسياً مهماً اعتمدت روسيا عليه لرعاية مصالحها.

وسعت روسيا أيضاً لإنشاء خط ملاحي روسي لربط موانئ روسيا بالخليج لتقوية التبادل التجاري بين المنطقتين ، بالإضافة إلى الطب الذي استخدمته روسيا ذريعة للتدخل في شؤون فارس و الخليج ، فأصبحت هذه المهنة مرتبطة بأمور سياسية للتأثير في سكان المنطقة ، مما أثار حفيظة بريطانيا و قلقها ، بخاصة أن الأطباء كانوا يرسلون التقارير السياسية الرسمية إلى الحكومة الروسية ، وكان الهدف هو مضايقة الإنجليز و عرقلة الطريق البري التجاري بين الهند وخراسان للحد من انتشار التجارة الإنجليزية.

و الجدير بالذكر أن بريطانيا هدفت إلى إضعاف فارس تمهيداً لزيادة السيطرة عليها و التدخل في شؤونها و بخاصة أن الخطر الروسي ليس خطراً عسكرياً فحسب ، بل هو استعمار اقتصادي لمنطقة الشرق الأدنى ، فبدأت المناورات العسكرية البحرية الإنجليزية ، لاستعراض قوة البحرية البريطانية لوقف النشاط الروسي ، كما بدأت في إثارة القلاقل في وجه الروس في العراق و داخل روسيا الوسطى ، لتشتيت القوات الروسية ، ومنعها من الاقتراب من الخليج .

وقد أسفر الصراع الروسي الإنجليزي للسيطرة على المنطقة عن فشل محاولات روسيا في تحقيق أهدافها في مختلف مناطق الخليج بما فيها المحمرة ، وعن اقتسام النفوذ في فارس : شمال فارس لروسيا و جنوبها لبريطانيا.

وهكذا امتازت العلاقة بين روسيا و بريطانيا بالتصادم ، و كانت الأراضي العربية مجالاً واسعاً لهذا التصادم . و بسيطرة بريطانيا على الخليج ضمنت لنفسها امتلاك الطريق التجاري الكبير المتمثل في الخليج ، وفي منطقة ما بين النهرين.

أما فرنسا التي أنشأت شركة الهند الشرقية الفرنسية سنة ١٦٦٤م للتجارة ، و أقامت علاقات جيدة مع العمانيين من خلال معاهدة تجارية مع سلطان مسقط سمحت لها بإقامة و كالة فرنسية تشرف على تجارة فرنسا في الشرق ، كما أقامت محطة لتزويد الأسطول الفرنسي بالمياه ، وفي أثناء وجود نابليون في مصر عام ١٧٩٨م حاول الاتصال بسلطان مسقط إلا أن الإنجليز عرقلوا جهوده .

و جاءت خسارة فرنسا لأسطولها البحري في الإسكندرية عام ١٧٩٩ كبداية لنهاية المنافسة بينهما لصالح بريطانية و سيطرتها الاستعمارية على جميع الطرق البحرية في بحر العرب ، خاصة بعد سقوط جزر موريشيوس عام ١٨١٨ و طرد الفرنسيين منها كليا و تمثلت الإستراتيجية البريطانية الاستعمارية على المنطقة بالتحالف مع شيوخ المنطقة مقابل استمرار نفوذ بريطانيا و تجارتها فيها ، لقد رسمت الإستراتيجية البحرية البريطانية قوسا بحريا كانت الهند مركزه للسيطرة المطلقة على المحيط الهندي و بحر العرب للحيلولة دون دخول أي منافس استعماري يهدد مصالحها.